

ان التواضع الثوري من السمات الهامة والاساسية التي يجب ان يتحلى بها المناضل، والمقصود بالتواضع الثوري عكس الغرور والترفع والنظر للناس وكأنهم ما دون. ولا نبالغ اذا قلنا ان نسبة عالية من الذين يلتحقون بالنضال، خاصة من المثقفين الثوريين غالبا ما يقعون في فخ هذا المرض الخبيث، الذي يعود استفحاله بالدمار والخراب، ليس على صعيد الفرد فحسب، وانما على صعيد المؤسسة او الحزب او الدائرة التي يعمل بها.

لقد مثل غسان نموذجا رائعا في التواضع الثوري، الامر الذي جعله محط اعجاب وتقدير من قبل رفاقه الذين يعمل الى جانبهم، ومن قبل الصحفيين والكتاب الذين كان على اتصال بهم، وايضا من قبل الناس البسطاء في المخيمات والاحياء الشعبية الذين خرج منهم، احبهم، كتب عنهم، واعطاهم بسخاء ولم يبخل في عطائه.

ان الشهرة والسمعة الفلسطينية والعربية والعالمية التي حظى بها هذا الكاتب المبدع، لم تخرجه عن طوره، ولم تسحبه الى برج الاستصلاء وانما زادت تواضعا فوق تواضع، فهو لم يصل الى المستوى الذي وصل، سوى لانه احب فقراء شعبه، اندمج فيهم، تحسس مشاكلهم عن قرب، من خلال انخراطه في اوساطهم، وليس عن طريق

ان يؤدي واجبه اولا باول، وان تأجيل اية مهمة من شأنه ان يفتح الباب امام تراكم "مؤجلات" تفرزها الايام، مما يضع العضو امام جهلة من التقصيرات التي تقود الى التشتت وفقدان القدرة على العطاء. وفي الوقت الذي كان فيه المرض يفتك بجسد غسان كان يزداد عطاء وتفانيا، بل ان عطاءه قد شمل المجال العسكري، حيث كان العقل المخطط لعدد من عمليات الجبهة ضد العدو في داخل فلسطين وخارجها.. وكيف يقبل غسان ان يؤمن بالكفاح المسلح بدون ان يساهم في قيادة وتخطيط عمليات مسلحة؟ وللقراء ان ينظروا كم كان ذلك الانسان بحاجة للانضباط من اجل اداء مهامه، هذا الانضباط الصارم الحديدي الذي لا يتزعزع والنابع من قاعدة صلبة هي ان يهب الانسان نفسه بصورة تامة وكاملة للنضال "ومن يهب نفسه كاملة للنضال، فانه يغادر ميدان الترددات البرجوازية الصغيرة بصورة تامة، وهكذا كان غسان كجندي في الخندق، وكبروليتاري جماعي الروح ومنضبط في حزب البروليتاريا العظيم.